**الأستاذ المسؤول عن المقياس : بن عيسى خيرة .**

**مقياس : مدارس فلسفية يونانية .**

**المستوى السنة الثانية : LMD s3**

**المحاضرة الثانية : بوادر وإرهاصات التفكير الفلسفي في اليونان .**

**البوادر الأولى لنشأة الفكر الفلسفي في اليونان: (من ق9.ق.م إلى ق.6.ق.م):**

إذا سلمنا بفكرة أن منْبت وأصل الفلسفة هو أرض اليونان بداية من القرن السادس قبل الميلاد،فإنه بالمقابل لابد أن نقر بالمبدأ القائل أنه لا ينشأ شيء من العدم ونتساءل ما هي المرحلة السابقة على نشوء الفلسفة في أرض اليونان ذاتها،لأنها بالضرورة هي المساهم في نشوء ذلك النوع من التفكير من خلال مكوناتها ،ففيما تمثلت تلك البوادر والإرهاصات ؟

**1/الميتولوجيا اليونانية:** تمثلت في مجموع العقائد الدينية والأساطير التي كان يؤمن بها اليونانيون القدماء،والتي مثلت طبيعة حياة اليونانيين وبطولاتهم سُجلت في مجموعة من الأشعار والقصص المليئة بالخيال،والأهم من ذلك شملت تفسيرات اليونان الأوائل لمظاهر الكون وأسرار الآلهة وتميزت بالمقابل بنوع راقي من التفكير،لكن لا يمكن أن نصنفه ضمن الفلسفة ،وهو ما يؤكده الفيلسوف الألماني"هيغل"في كتابه محاضرات في تاريخ الفلسفة إذ يقول:"إن الدين والشعر يحتوي على أفكار،والدين لا يظهر فقط على طريقة الفن،كما هو حال الديانة الإغريقية بشكل خاص،بل يتضمن أفكارا وآراء عامة،ويحدث الشيء نفسه في الشعر...وإن أفكارا من هذا النوع مثلا حول القدر عند هومروس وفي التراجيديا اليونانية،حول الحياة والموت،حول الوجود والزوال،الولادة والوفاة،لهي أفكار مجردة حقا وهامة.ولكن حتى هذا النوع لا يمكن اعتباره وتناوله في تاريخ الفلسفة "[[1]](#footnote-2)،ويمكن أن نجمل أهم تلك المقدمات التي ساهمت في نشأة الفلسفة اليونانية فيما يلي:

**أ/العقائد الدينية:** لقد كانت الحياة التيولوجية عند اليونانيين حافلة بأفكار عن الآلهة وطبيعتهم وعلاقتهم ببعضهم البعض وبالبشر كذلك،وإلقاء نظرة موجزة على مضمون الأشعار التي كانت متداولة عند اليونانيين يوضح ذلك،لكن ما حصل هو أن اليونانيين رغم الولاء الشديد للآلهة واحترامهم لها إلا أنهم لم يجدوا في ذلك سبيلا للتخلص من حياة البأس والشقاء فراحوا يبحثون عن طرق أخرى تقربهم أكثر من الآلهة وتخلصهم من المعانات التي كانوا يعيشونها ،وقد وجدوا ذلك في ديانات الشرق القديمة التي كانت تعد بالخلود والخلاص وبحياة النعيم والإتحاد مع الآلهة،وقد كانت تلك الديانات سرية لا يعرف تعاليمها إلا الذين ينضمون إليها وكانت مليئة بالمبادئ الأخلاقية والدعوة إلى التطهير واعتبار الجسد سجن للنفس يمنعها من ممارسة حرياتها في المعرفة والإتحاد لذلك كان لابد من التخلص من مطالبه فهو سبب المعاناة والشقاء،ومن أشهر تلك الديانات نجد الأورفية وديانة إلوسيس اللَتين كان لهما الأثر الكبير على حياة اليونانيين الروحية ،وساهمتا كذلك في نشوء الفلسفة لما حملته من أفكار هامة حول الآلهة والإنسان والكون.

**\*الأورفية:** [[2]](#footnote-3)\***Orphisme**من تعاليم هذه الديانة أن الإنسان مركب من عنصرين متعارضين العنصر الطيطانيTitans وهو مبدأ الشر وعنصر الخير متمثل في ديونيسيوس.وأن الجسد بمثابة سجن للنفس وهي في صراع دائم معه ،لذلك وجب على الإنسان أن يتطهر من الشر الكامن في داخله وذلك عبر التناسخ الذي يتدرج بالنفس إلى أعلى مراتب الصفاء والإتحاد،وهو ما يستلزم ولادات متعددة فحياة أرضية واحدة لا تكفي .

لقد كان لهذه النحلة أثر كبير وواضح على الفلاسفة اليونان،بداية بالفيثاغورية وتأثرها بفكرة التناسخ التي هي من المبادئ الأساسية في النحلة الأورفية،هذا وقد كان لثنائية النفس والجسد وفكرة التطهير كذلك دور في بلورة فلسفة أفلاطون ومن قبله سقراط في مذهب النفس والأخلاق،ويمكن أن نقول عموما بأن الأورفية ساهمت في نضج الحياة الروحية عند اليونان و توجيه التفكير نحو الفلسفة العقلية والأخلاقية مع كبار فلاسفتها (فيثاغورس- سقراط -أفلاطون) الذين اعتمدوا أهم مبادئها لبناء نظرياتهم الفلسفية.

**\*ديانة إلوسيس:Eleusis:**من أشهر الديانات القديمة عند اليونانيين كان يعبد أصحابها إلهة الأرض ديمترDémeter وهي ترمز للخصوبة وكان اليونانيون يقيمون طقوسا كبيرة لهذه الديانة تضمنت "الأسرار الصغيرة في الربيع والأسرار الكبيرة في الخريف يقام خلالها مشهد مسرحي شعائري يتقاسم فيه الأتباع والمريدون مخاوف وأفراح بريسفون ...إن الغاية هي الاتصال بديانة الأرض وبلوغ الخصوبة في الحقول والخلود في القبور"[[3]](#footnote-4) .

"وخلاصة الأسطورة أن بلوتوPluto وهو نفسه يسمى هادس إله العالم السفلي(ملك جهنم أو Hadèsإله العالم) إختطف إبنتها(أي ابنة ديمتر) برسفوني التي كانت تسمى كورة Core بأمر من زيوسZeus،فنزل بها إلى العالم السفلي فطفقت أمها ديمتر تبحث عنها حزينة حتى وصلت مدينة إلوسيس فأكرمها ملكها كيلوس Keleos، فمنحت ديمتلر الخلود لابنه ديمفون Demephon فاعترف الملك بها إلهة كبرى وأقام لها معبدا سكنته وصارت الآلهة التي تقدم الغلال وتمنع المجاعات ،فاستاء زيوس وبعث لها جمعا من الآلهة للعودة إلى جبل الأولمب وتم الإتفاق بينها وبينهم على أن يعيد زيوس كورة بريسفونيا Persephoneia لكنه اشترط أن تقضي الإبنة ثلث كل عام في العالم السفلي والثلثين الآخرين على جبل الأولمب على ظاهر سطح الأرض،وكلما عادت ازدهرت الأرض وماجت الحقول بالخصب والربيع" [[4]](#footnote-5).

**ِ ب-هوميروس(Homère) وهوزيود(Hésiode):**يعبران عن لحظة أساسية في تاريخ اليونان كله،كان تأثيرهما من خلال أشعارهما التي مثلت منهجا تعليميا وتربويا اعتمده اليونان في حياتهم اليومية الأخلاقية والروحية،كما كانت تلك الأشعار تحكي حياة الآلهة وملاحم اليونان وبطولاتهم،واشتملت كذلك على مجموعة من الحكم والمواعظ التي كانوا يقدسونها.

أما "هومروس" فهو الذي كتب الإلياذة والأوذيسة[[5]](#footnote-6)\*Iliade-Odyssée ،و"كان عالم هوميروس ينتظم عبر توزيع المجالات والوظائف بين الآلهة الكبيرة:لزوس نور السماء الساطع ولهاديس الظل المعتم،ولبوزيدون العنصر السائل.وللثلاثة معا الأرض التي تعيش عليها مع الإنسان،جميع المخلوقات الفانية الخليطة.وينظم العالم الأيوني نفسه بواسطة تقسيم المقاطعات والفصول،بين قوى أساسية تتعارض وتتوازن أو تتحد"**[[6]](#footnote-7)**وهذا مقطع من الأنشودة الأولى من إلياذة هومروس:

ربة الشعر عن آخيل بن فيلا أنشدينا واروي احتداما وبيلا

ذاك كيد هم الأخاء بلاؤه فكرام النفوس ألفت أفولا

لأذيس أنفذن منحدرات وفرى الطير والكلاب القيولا[[7]](#footnote-8).

نجد داخل شعر هوميروس اهتمام كبير بمظاهر الطبيعة ،كاعتباره أن المادة حية فكان يصف بعض عناصر الطبيعة بحالات وجدانية انفعالية نجدها عند البشر،ووصف الأرض بالأم وألهها وهي كالأنثى تتزوج وتلد فهي التي أنجبت الكواكب والسماء والصخور،فالآلهة عموما تتصف بصفات البشر يأكلون ويتزوجون ويشربون الخمر ويتخاصمون فيما بينهم ،لهم غرائز ورغبات وعواطف وهم خالدون،يسكنون في قمة جبل الألمب،وهم الذين يسيرون حياة البشر ويتحكمون في مصيرهم،وهو ما ولد ذلك الأيمان القوى والتسليم بالقدر الذي عُرف به اليونانيون.

كما توجد كذلك داخل هذه الأشعار مقاطع كثيرة تشير إلى الإنسان في اعتباره ثنائية مؤلفة من نفس وجسد،هذا الأخير هو بمثابة سجن للنفس،تنحل هذه الثنائية بالموت وتنـزل النفس إلى جوف الأرض.

**\*هوزيود:** **Hésiode** :

شاعر يوناني قديم عاش في حوالى القرن الثامن قبل الميلاد،من طبقة الفلاحين عكس هوميروس الذي يروى عنه أنه كان من الطبقة الأستقراطية،له ديوانين مشهورين "الأعمال والأيام"وديوان آخر فيه شك في صحة نسبته إليه،عنوانه"أصل الآلهة"،كانت كتاباته ذات طابع تربوي تعليمي محض اشتملت على حكم وأمثال ومواعظ للمواطن لكي يعيش حياة سعيدة وعلى بعض الأفكار الفيزيقية الممزوجة بالتفسير اللاهوتي والخالية من التفسير العلمي والبرهنة العقلية،وفي كلامه عن نشأة الكون يقول"كان العماء (chaos)،(الفوضى-الاضطراب)أول الأشياء جميعا ظهورا إلى الوجود،ثم كانت الأرض ذات الصدر العريض...وفي المقدمة كان الحب أول الخالدين جميعاًُ"[[8]](#footnote-9).

أما ديوان الأعمال والأيام يشتمل"أربعة أقسام رئيسية هي بمثابة دروس ونصائح في الأخلاق والحياة العادية،الأول:درس أخلاقي في العمل وحث عليه تتخلله حكم متنوعة،الثاني:نصائح في الزراعة يليها إرشادات في الملاحة،الثالث:مجموعة من الوصايا في الزواج والعلاقات الاجتماعية والشعائر الدينية،الرابع:تقويم يدل على أيام السعد وأيام النحس وشمل الشيء الكثير من الخرافات الشعبية"[[9]](#footnote-10)

يعقب أرسطو على هؤلاء المفكرين السابقين على طاليس،أوكما يسميهم مدرسة هوزيود والمتولوجيين" ويقوم بنقدهم،فهو يرى أن اهتمامهم كان محدودا وكان ميثولوجيا محضا،فهم لم يحاولوا البحث عن العلة وراء الأشياء،وإن قالوا أنها الآلهة فإنهم جعلوا هذه الآلهة ناقصة غير مكتفية بذاتها بل هي بحاجة إلى الأكل والشرب وبهذا هي لا تستحق أن تنعت بالخلود والأزلية فيقول:"...ومن هنا فإن خبايا الميثولوجيين لا تستحق منا البحث الجاد،أما أولئك الذين يستخدمون لغة البرهان فهم الذين يستحقون الفحص المتأني"[[10]](#footnote-11).

إلا أن هدا النقد لا ينفي أهمية هذه المرحلة في التمهيد للفلسفة اليونانية رغم سذاجته وميثولوجيته،"فقد سبقت المعجزة الأدبية الفلسفة اليونانية عند اليونان وكان لهدا التراث الأدبي أكبر الأثر في تنوير فكر اليونان بل كان مقدمة لفلسفتهم في الكون والحياة،ففي ثيولوجيا هوزيود محاولة لتفسير القوى الطبيعية ونشأة الآلهة،وفي إلياذة هوميروس تصوير لحياتهم يقربهم من الصورة الإنسانية ويرضي الذوق الفني والوضوح العقلي على السواء"[[11]](#footnote-12).

**ج-بوادر التفكير الأخلاقي والسياسي مع الحكماء السبع:**

ظهرت بوادر التفكير الأخلاقي والسياسي مع الحكماء السبعة في حكمهم وأقوالهم التي جسدت جوانب الحياة الاجتماعية والإنسانية في ذلك الزمن،وبذلك تجاوزت حدود التجربة الحياتية إلى وضع مبادئ وبذور الفلسفة الأخلاقية والسياسية والتمهيد لها،إذ لا شك أن مفهوم العدالة الإلهية والحب والفضيلة والعقاب والخطيئة والدولة وغيرها مما اشتملت عليه أقوالهم كانت حاملة لعناصر التفكير العقلي.

يتكلم أفلاطون بإسهاب عن الحكماء السبع في محاورة"جورجياس"[[12]](#footnote-13)\*ويذكر بعض حكمهم المأثورة، أما حول هويتهم فهناك اختلاف بين المؤرخين والدارسين "فلائحة السبعة متذبذبة ومتغيرة وهي لا تهتم لا بالتسلسل التاريخي ولا بالمعقولية.مع ذلك فإن الدور السياسي والاجتماعي المنسوب إلى الحكماء،والحكم المنقولة عنهم تسمح بتقريب بعضهم من شخصيات أخرى تتناقض كليا فيما بينها"[[13]](#footnote-14).

إن للحكماء السبع دور كبير لا يقل أهمية عن الشعر والدين،لأن حكمتهم كانت عملية تهدف إلى تعليم الفرد المبادئ الأخلاقية حتى يكون صالحا ويعيش حياة سعيدة،خاصة وأن الفترة التي وجدوا فيها (القرن السابع والسادس قبل الميلاد)كانت فترة اضطرابات داخلية.

وقد مثل هؤلاء الحكماء التفكير السياسي بالدرجة الأولى وإن كانت حكمهم المنقولة عنهم مليئة بالحكم والأمثال الأخلاقية،ويشير عبد الرحمن بدوي إلى هذه الفكرة فيقول:"أنهم لم يكونوا يفرقوا الأخلاق السياسية والأخلاق الفردية،وأن الواجب نحو الدولة أسبق من الواجب نحو الذات،أو بالأحرى ليس ثمة تعارض بين الاثنين"[[14]](#footnote-15) .ومن أشهر حكمهم التي نقلت عنهم:"اعرف نفسك بنفسك.لا تسرف.من الصعب أن تكون شريفا.لا تخالط الأشرار.احترم أباك.إذا كانت الأرض أكيدة فالبحر ليس كذلك.إذا أطعنا فإننا نحسن القيادة"[[15]](#footnote-16).

1. هيغل محاضرات في تاريخ الفلسفة(مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)،ترجمة خليل أحمد خليل،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،الطبعة الثانية 2002،ص186. [↑](#footnote-ref-2)
2. \* أنظر الأسطورة كاملة ضمن كتاب: الأساطير اليونانية والرومانية،أمين سلامة ،الصفحات من 112 إلى116. [↑](#footnote-ref-3)
3. - مجمد جديدي،الفلسفة الإغريقية،ص71. [↑](#footnote-ref-4)
4. - حربي عباس عطيتو،الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1999 دون طبعة ص ص62-63. [↑](#footnote-ref-5)
5. **\*** الإلياذة في اليونانية تعني أغنية إليون،وإليون هو الاسم الذي كان يطلقه اليونانيون الأقدمون على طروادة،بحيث يصبح معنى الإلياذة هو أغنية طروادة تتناول"أياما قلائل من السنة العاشرة لحصار إليون،أما الأوذيسة"يغلب على الظن أن الشاعر نظمها في شيخوخته،وموضوعها رحلة أوذيس أثناء عودته إلى بلاده بعد انتهاء حرب طرواده ،والقصة بأكملها لا تتناول إلا أربعين يوما...وهي كذلك تشمل أربعة وعشرين نشيدا"أنظر هوميروس،الإلياذة،ترجمة سليمان البستاني،كلمات عربية للترجمة والنشر،القاهرة 2011. [↑](#footnote-ref-6)
6. - جان بيار فرنان،أصول الفكر اليوناني،ترجمة سليم حداد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى1987،ص93. [↑](#footnote-ref-7)
7. هوميروس،الإلياذة،ترجمة سليمان البستاني،كلمات عربية للترجمة والنشر،دون طبعة وسنة،ص192. [↑](#footnote-ref-8)
8. أرسطو ،كتاب الميتافيزيقا،مقالة الألفا الكبرى (984- 30b-) ،ترجمة امام عبد الفتاح امام،ص265. [↑](#footnote-ref-9)
9. محمد جديدي ،الفلسفة الإغريقية،ص65. [↑](#footnote-ref-10)
10. أرسطو،الميتافيزيقا،الكتاب الثالث مقالة البيتا، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام،ص306. [↑](#footnote-ref-11)
11. أميرة حلمي مطر،الفلسفة اليونانية ،تاريخها ومشكلاتها،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،طبعة جديدة 1998،ص38 [↑](#footnote-ref-12)
12. \* أنظر أفلاطون،محاورة جورجياس، المحاورات الكاملة،المجلد الثالث ،نقلها إلى العربية ،شوقي داود تمراز،الأهلية للنشر والتوزيع بيروت،دون طبعة 1994. [↑](#footnote-ref-13)
13. - جان بيار فرنان،أصول الفكر اليوناني ،ص ص59-60. [↑](#footnote-ref-14)
14. بدوي عبد الرحمان ،ربيع الفكر اليوناني،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة الطبعة الثالثة،دون تاريخ ،ص89. [↑](#footnote-ref-15)
15. محمد جديدي،الفلسفة الإغريقية،ص ص 81- 82. [↑](#footnote-ref-16)